تحسين القبيح في المنظور النقدي العربي

دعاء حسن جواد كاظم أ. د إياد عبد الودود الحمداني

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Email:Metonymymyman@Yohoo.com
Doaa22.lit.ar.hum@uodiala.edu.iq

Published:1-12-2023

Keywords: الجمال، حسن التعليل، التلطف

Abstract

Our research paper is entitled " The Amelioration of the Loathsome in Arab Critical Perspective," monitoring the early emergence of the term "The Amelioration of the Loathsome" and attempting to root it based on a theoretical critical view. The researchers of this paper believe that it will be in conflict with two main issues; The first: the relativity of aesthetic perspective, and the second: the specificity of the Arabic creative language associated with philosophical thinking. Because of that, the research will discuss these two issues in sufficient detail, believing that this term is important and needs for systematic investigation.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

يقوم بحثنا الموسوم بـ ((تحسن القبيح في المنظور النقدي العربي)) ، على رصد بواكير ظهور اصطلاح (تحسين القبيح)،ومحاولة تأصيلية استنادًا إلى رؤية نقدية تنظيرية ، ويعتقد البحث أنه سيصطدم بقضيتين رئيسيتين ؛ أولهما : نسبية الذائقة الجمالية ، والثانية : خصوصية اللغة الإبداعية العربية المرتبطة بالتفكير الفلسفي ، وسبب من ذلك سيناقش البحث هاتين القضيتين بتفصيل واقٍ ، معتقداً أن هذا الاصطلاح مهم وبه حاجة إلى الرصد المنهجي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد : بعد التوكل على الله عز وجل تمت كتابة هذا البحث الموسوم: (تحسين القبيح في المنظور النقدي العربي).

وفي الحقيقة فإن هذا الموضوع له علاقة بالجمال؛ لأن الحسن هو الجمال ، ولاريب في أن الجمال يرتبط ارتباطا وثيقاً بالقبح الذي يمثل كل ما هو بعيد عن الجمال الذي يحيط بنا من كل جانب ، ولا غرابة في ذلك؛ لأن الله هو الذي خلقه وهو أصل كل جمال. أما في باب الأدب وما يخص النصوص الأدبية ،فإن الجمال والقبح ، وعلى تضادهما فهما معا يمثلان القيمة الجمالية والشاعرية لكل نصّ أدبي. وفضلاً عن أهمية هذا الموضوع ، فإننا في صدد البحث عن عناية أكبر يستحقها من النقاد القدماء والمحدثين، تليق بقيمتهما، ومن أبرز الكتاب الذين كتبوا فيهما هو العالم العربي ، صاحب كتاب (تحسين القبيح وتقبيح الحسن)، أما النقاد المحدثون ، فقد تحدثوا عن هذا الموضوع بوصفه (علم الجمال) أو (فلسفة الجمال)،أما مصطلح تقبيح الحسن فلم يأخذ حقّه من الدراسات، وجلّ الدراسات التي اعتنت به، لم تخرج من دائرة الوصف الذي استندت إليه منهجية بحثنا– هنا– أيضاً.

ومن الصعوبات التي واجهتني في اثناء كتابة البحث هي الطابع الفلسفي للموضوع والذائقة المتباينة بين المتلقين.

وقد توزعت مادة البحث على ثلاثة مباحث، المبحث الأول حمل عنوان (صفوة المصطلحات)، والمبحث الثاني حمل عنوان (تحسين القبيح لدى العلماء القدماء، أما المبحث الثالث فحمل عنوان(تحسين القبيح لدى المحدثين) وانتهى البحث إلى خاتمة لخصت أهم النتائج والملاحظات العلمية التي توصل إليها البحث .والله ولي التوفيق.

المبحث الأول : صفوة المصطلحات.

الحسن :

يذهب العقل إلى أن الحسن هو الجمال وهو عكس القبح، وقد قال ابن منظور في لسان العرب عن الحسن ، إنّ: ((حَسُنَ ، الحسن : ضد القبح ونقيضه، الأزهدي : الحسن نعت لما حسن ،حَسُنَ حُسْن يحسن حسناً فيهما ، فهو حاسن ، قال الجوهري: والجمع محاسن ،على غير قياس))[١] .

أما الفراهيدي ، فقد قال في كتاب العين، عن الحسن :((وحَسُنَ الشيء فهو حَسَنٌ ، والمُحْسن ، الموضوع الحسن في البدن، وجمعه محاسن ،وامرأة حسناء ،ورجلٌ حُسّان ،وقد يجيء فُعّال نعتاً ، رَجلٌ كُرّام ، والحسان: الحسن جداً))[٢] .

أما الحسن اصطلاحاً فإنه يرتبط بمعناه اللغوي، لكن له في ذلك أكثر من قول، منها قول الراغب الاصفهاني ، إذ قال : ((الحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك في ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحس))[٣]. فالحسن هو كل ما ترتاح له النفس وتهواه.

ويمكن أن نضع مصطلح حسن التعليل ضمن باب الحسن، ونقصد به: ((أن يلتمس الأديب للشيء أو للظاهرة علة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه بدلا من علته أو علتها الحقيقية))[٤]. مثلا لذلك نقول : إن القمر عجز من أن يشبهك ، فصار يضيء أكثر حين شهد جمالك.

الجمال :

مما لاشك فيه أن علاقة ما موجودة بين الجمال والحسن ، فكلاهما تطيب النفس له ، ومنهم من قال إن الجمال هو الحسن ، قال ابن منظور : ((الجمال : يعني الحسن الكثير ، وهو مصدر الجمال ، وهو ما يتجمل و يتزين ، وهو ضد القبح ، والفعل منه جُمِلَ يجمل ، يقال: جمل: ككرم ، فهو جميل وجمال ،وجُمّال بالضم والتشديد على التكثير أجمل مِن الجميل ، وجمَلَهُ أي زينهُ ، والتجميل زيادة الشيء عن الأصل ، ويقال : جاملتُ فلاناً مجاملةً : أي المعاملة بالجميل))[٥] .

هذا مما جاء في الجمال لغةُ ، أما مفهوم الجمال في الاصطلاح فقد اعتمد علماء اللغة والدين والفلسفة على تعريفه لغةً .

فقد كان عندهم الرقة والحسن ، فهوما ترتاح النفس له، وهو كل ما يتعلق فيه الرضا واللطف ،وهناك رأي آخر يذهب إلى أن الجمال لا يقبل بتعريف محدد ؛ ذلك لأنه معنى وجداني نسبي يعرف عن طريق الأشياء وما تشكله في ذهن المتلقي [٦]. وعندما نقول نسبي فإن الأشياء قد تكون جميلة في عين متلقٍ معين ، ولكنها قد لا تكون كذلك في عين غيره .

ففي كتاب (المعجم الفلسفي) لجمال صليبا ، وجدنا أن علم الجمال هو :((علم يبحث في شروط الجمال، ومقاييسهُ ، ونظرياته ، وفي الذوق الفني ، وفي أحكام القيم المتعلقة بالإيثار)) [٧] .

وكان قد تداول كتاب الفلسفة مصطلح (الأستطيقيا) ، الذي يبحث في فلسفة الجمال أو علم الجمال ، ولاسيما عند الفلاسفة الطبيعيين ، أمثال : فيثاغورس ، وأفلاطون ، وأرسطو ، وكان علم الجمال حاضرا في الفلسفة الاسلامية عند الفارابي وابن سينا وابن عربي والغزالي. والفلسفة الحديثة كان لها الدور في تناول هذا العلم وإعطائه أهمية كبرى، ومن أمثال الفلاسفة المحدثين ، بومفارتن وهيجل وشوبنهاور ونيتشه [٨] .

من خلال ما تقدم فقد حاولنا أن نوضح معنى الجمال ولم اتطرق لمفهوم الحسن في الاصطلاح ؛ ذلك لأن الحسن هو نفسه علم الجمال ورديف له فلا داعي للتطرق إليه لأن زيادة الكلام تفسد جمالية المعنى ويصبح الكلام مملاً. ولو اردنا أن نعرف الحسن ،فهو الناقع أو ما يعود به على فاعله نفع، وهو على العكس من القبح [٩].

ويرى الفيلسوف (جورج سانتيانا) ،أن ((الجمال هو الحق ، أو هو التعبير عن المثالي ، أو هو رمز الكمال الإلهي ،أو المظهر الحسي للخير))[١٠]، ومن ذلك نستنتج أن سانتيانا قد ربط بين الجمال وبين المنفعة ، وقد اعتبرها جوهر الجمال ولبه، وعدَّ ما يثيرنا في الأشياء هومن خلال حساباتنا لقيمة ما يمكن ان تنفعنا تلك الأشياء. فالذي يجعل الناس يقولون للسوق الفلاني جميلاً هو في الحقيقة اكثر بيعا للبضاعة التي تباع كل يوم، والأنف جميل لأنه خلق للشم، وهذا الحي جميل لأنه ملائم للمعيشة فيه، فكل شيء نراه جميلاً من خلال مدى المنفعة التي نجنيها منه، وبذلك يكون القبيح هو كل ما لا منفعة تجنى منه، ويعتقد سانتيانا أن هذه قاعدة غير ثابتة قد تتغير[١١].

القبح :

القبح هوما يكون بالضد من ما ترتاح النفس البشرية وتسعد به ، وقد قال ابن منظور في القبح أنه : ((ضد الحسن ويكون في الصورة والفعل، وكل شيء غير مألوف وخارج عن النسق فهو قبيح))[١٢].

التفت ابن رشيق القيرواني إلى مفهوم القبح ، وذلك في الشعر ، وعدَّ الكذب وما فيه من قباحة هو حسن فيه ، وجعل الكذب من فضائل الشعر ، وعدّ ذلك هو عين الجمال، وهو ما يمثل الشاعرية فيه ، ومن النقاد والعلماء الذين وافقوا القيرواني في رأيه هذا ، أبوهلال العسكري ،وما جاء به في كتاب الصناعتين ، الذي جعل الكذب مرادفاً لجمال الشعر

والشاعرية ، وقد عدوا الصدق والكذب ثنائية لا يمكن فصلهما عن الشعر ، كاللفظ والمعنى ، ذ اتفق العلماء على أنهما روحان في جسد واحد لا يمكن الفصل بينهما في أي نص(١٣).

ويرى الدكتور إياد عبدالودود الحمداني، أن القبح والهجاء قد يندرجان ضمن موضوع الملهاة والكوميديا، ويعد براعة النص ،مقترنة بتوظيف القبح لتحقيق الشعرية(١٤)، واشار الدكتور الحمداني إلى صعوبة تعريف القبح :((لهلاميته ولارتباطه بالذائقة الجمعية ،فمفهوم القبح والجمال متغير من حقبة إلى أخرى ،ومن متلقٍ إلى آخر ،وبسبب ذلك اعتمد البحث الذائقة الآنية الذاتية في ثنيات التطبيق))(١٥).

التلطف :

يعد مفهوم التلطف من الألفاظ المقاربة للتحسين، وقد أشار إليه البعض من النقاد القدامى ومن المحدثين، ومن القدامى ، أبي هلال العسكري، الذي قال : ((هو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه ، والمعنى الهجين حتى تحسنه))(١٦) . و تعريف التلطف لغةً ،هو ما أشار إليه ، الدكتور أحمد مطلوب، وعرض له في معجمه ، وأشار لمعجم لسان العرب لابن منظور، قال : ((قال ابن منظور : لَطَف يلطف: والتلطف للأمر : الترفق له))(١٧). أما ما ورد من تعريف التلطف اصطلاحاً هو((في حقيقته ابدال الكلمة الحادة بكلمة أقل منها حدة وأكثر قبولاً))(١٨) .

وإن العرب مازالت((تسمي الناهضين في ابتداء الأسفار قافلة تفاؤلاً بأن ييسر الله لها القفول، وهو شائع في كلام فصحائهم))(١٩).

مما تقدم نصل إلى أن التلطف في القول والتعامل والتصرف وغير ذلك، هو ترفق ولين ، ويمكن القول أنه مجاملة ورقة وأدب، ونزول لرغبة المقابل، واختيار الألفاظ بما يحفظ مشاعر المخاطب. قال تعالى: [وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم](الإسراء: ٥٣).

اللذة :

اللذة شيء حسي ،وهي ما ترتاح له النفس وبه تنتعش، وممكن أن تكون من الحسن؛ لأنهما يؤديان لمعنًى واحد، وقد عرفها الفراهيدي لغةً بقوله: ((لَذَّ لذيذٌ يجريان مُجرًى واحداً في النعت، ويَلَذَّ لذاذةً و لذذْتُ الشيء: وجدته لذيذاً ويجمعُ اللَّذُّ لذاذاً قال: تلوم على لذِّ من العيش أغيد ، وتقول ماكنتَ لَذَّ، ولقد لذذت بعدي))(٢٠)، أما اللذة في الاصطلاح مما ورد كره في معجم المعاني الجامع، فهي: ((ادراك الملائم من حيث إنه ملائم كطعم الحلو عند حاسة الذوق والنور عند البصر... واللذة طعم الشيء))(٢١)، فقد نشعر باللذة في أي وقت، فهي رد

فعل لأمر قد حدث، أثار هذا الأمر نفوسنا وجعلها تلتذ، وقد يكون ذلك أكل بعد جوع، أو منظر جميل متع نواظرنا .

المبحث الثاني: تحسين القبيح لدى العلماء القدماء .

إذا ما نظرنا إلى العنوان ملياً ، نجد أن أول من برع في الكتابة فيه هو أبو منصور الثعالبي ، إذ ألف كتاباً يحمل عنوان (تحسين القبيح وتقبيح الحسن) ، وقد عدَّ فيه تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، غايتان في البداعة والقدرة على جزل الكلام وهما من سر البلاغة ،وسحر الصناعة، فهو يقول :((وماأراني سُبقْت إلى مثله في طرائق المؤلفات وبدائع المصنفات))[٢٢]، وفي كتابه ذكر محاسن كثيرة ، منها تحسين المتعلم والتعلم ، وذكر فيه كلام لأبي زيد البلخي ، وله فيه رسالة عبر فيها بأنه مُعَلّم، وقيل له بما معناه المعلم ساقط ومذموم قبيح الاسم، فإن الحاجة يضطرُّ إليها الجميع فيكل الديانات [٢٣].

وكذلك وجدنا في كتاب الثعالبي ، أن كل صاحب صنعة معينة، لابد من أن يتعلم ممن هو أعلم منه ، وممكن أن يُعلم ما تعلمه لمن هو أجهل منه، ومن البديهي أن يكون المُعلم أفضل من المتعلم [٢٤].

وإذا ما نظرنا في مصطلح (تحسين القبيح)، نجد أن هناك مصطلحات أخرى تحمل المعنى نفسه، ومن هذه المصطلحات (علم الجمال الأستطيقيا)، و مصطلح (الحسن) ومن أبرز الفلاسفة والعلماء الذين تعرضوا لهذين المصطلحين هو الغزالي، الذي لقب(حجة الإسلام)، إذ قال : ((إن المحبوس في ضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لامعنى للحُسْن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل، وحسن اللون، وكون البياض مشرباً بالحمرة، و امتداد القامة، إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان...))[٢٥]. وقد ذهب سيد صديق عبد الفتاح إلى أن الحسن على الأغلب عند الخلق هو حسن الإبصار[٢٦] .

وحسن الاستبصار عنده هو حسن التصور ، وإذا لم يتم ذلك لم يكن في إدراكه لذة ، فليس الحسن مقتصراً على ما تدركه الأبصار . ويبدو أن هذا الرأي له وجاهته ، ذلك لأن الصوت أحياناً يعجبنا ويكون ذو جمال في نظرنا، وكذلك هناك أشياء غير محسوسة ،تكون جميلة ، نصل إلى أن الجمال غير محصور في المحسوسات فقط[٢٧] . وفي هذا الصدد يقول ابن عربي: ((إنّ الله أوجد العالم في غاية الجمال والكمال خلقاً وابداعاً، فإنه تعالى يحب الجمال ، ومن ثم لا جميل إلا هو، فأحب نفسه ، ثم أحب أن يرى نفسه في غيره ، فخلق العالم في صورة جمالية، ونظر إليه فأحبه حب من قيده النظر، ثم جُمِلَ عز وجل بالجمال المطلق، والساري في العالم جمالاً عرضياً مقيداً ، يفضل آحاد العالم فيه بعضه على بعض بين جميل وأجمل))[٢٨].

إن موقف ابن عربي هو تأكيد لوحدة الوجود ، ونابع من القيمة الجمالية فيه، وهذه الجمالية تقوم بربط الأشياء المختلفة في مراحل الكمال المتصلة في إظهار حقيقة الوجود وحقيقة الذات الالهية، ونجد ان ابن عربي اراد في النص اعلاه أن يقرن الجمال بالله عز وجل ، ويقول لنا إن الجمال هو أساس الوجود. ومن خلال ما ذهب إليه ابن عربي عن الذات الالهية فإنها تتجلى بصفاتها على الذات ، وتكون المخلوقات على مراتب في الخلق والجمال، ومن كرم الله عز وجل إن الإنسان أفضلها، ولاسيما النفس البشرية، والتي يعدها العلماء جوهراً روحياً ، مشتقاً من نور واجب الوجوب ،ألا وهو نور الله سبحانه وتعالى، وباجتماع العقل والروح تتحقق المعرفة ، وهذه الجدلية تأخذنا لفكر (هيجل)، الذي يعدُّ تطور العقل الإنساني تحولاً نحو التجديد [٢٩] . ومن خلال هذا العرض يذهب ابن عربي للقول: ((أنا ألذ من كل ملذوذ ، أنا أشهى من كل مشتهى ، أنا أحسن من كل حسن ، وأنا الجميل ، أنا المليح))[٣٠].

ذهب ابن عربي إلى معرفة تنوع الكشف لمعرفة النفس، ذلك من خلال إثبات تجليات الكمال في صفات الخالق ، ولا يمكن معرفة الصواب إلا بمعرفة الحق، ذلك عبر معرفة التجليات الجمالية للذات الالهية، وإن أصل المعرفة في صفاة الخالق[٣١]. ومن باب الزهد اهتم العلماء بالجمال بوصفه وسيلة لإظهار الحقيقة الوجودية ، وجعل الذائقة التأويلية هي من تتعامل مع الحقيقية ، وتميل إلى التعامل مع الإشارة، أو (التخريج) [٣٢].

أما الفيلسوف(أحمد لطفي السيد) فإنه يرى أن الجمال موجود في كل جزء من أجزاء الطبيعة ، في الحدائق في المباني في البحر ، في الأنسان والحيوان؛ ذلك لأن الجمال ممكن ان نراه ونشعر به في كل منظر نراه من حولنا[٣٣].

ويرى الأديب (مصطفى لطفي المنفلوطي)، الذي لقب بـ(أمير الإنشاء البياني)، إن الجمال في التناسب، إذ يقول: ((ما كان الوجه الجميل جميلاً إلا للتناسب بين نغماته...ولولا التناسب بين حبات العقد ، ما افتتنت به الحسناء، ولولا التناسق في أزهار الروض ما هام به الشعراء))[٣٤] .

مما تقدم يتولد لدينا أن الجمال هو تناسب بين مكونات الهيئات المركبة، ليس قاعدة للجمال، فهناك من يمتلك قواماً ووجهاً جميلاً ،لكن لا يوجد فيه حسن[٣٥]. أما (محمد فريد وجدي) فإنه يرى الجمال مقترناً بالفن، فالفن عنده هو الذي يعلم الفنان الجري وراء الجمال، ومعه الفكر والانفعال والشعور، وقال: ((وقد حصروا الفنون في خمسة أشياء: الشعر والموسيقى والبناء والحفر والتصوير))[٣٦] .

وقد اعتنى العلماء بمسألة ارتباط الجمال بالفن، ولم يقتصر الأقدمون على تحليل الشعور الذي ينتج من مشاهدة الجمال ، فقد ألحوا في تحديد الجمال في ذاته، وقد مزجوا بين

ما هو جميل وما هو خير، فاختلط بذلك علم الجمال بعلم الأخلاق ، وقد توضح ذلك جلياً في كتابات (أفلاطون)[٣٧].

مزج الرواقيين أتباع الفيلسوف(ذينون) بين الجمال والخير. اي تم الربط بين الجمال والخير، وسايرهم في ذلك علماء القرون الوسطى ، وكذلك علماء عصر النهضة، وبسبب اهتمامهم بالعلم ، فإنهم لم يهتموا بدراسة علاقة الجمال بالفن ، أما علماء العصر الحديث قد اهتموا بعلم الجمال، وقد قدموا فيه دراسات مستفيضة وعميقة[٣٨].

أما أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة الثقافية فإنه يرى أن الجمال يكون في الحياة، فنجده يقول: ((إنما الجمال وضاءة الفن الالهي، أشاعه الله في الأرض والسماء، وهيأ المدارك للاستغراق فيه والاستمتاع به))[٣٩].

لا ريب أن الحياة جميلة، لأن من صورها وخلقها هو أصل الجمال، والجمال من أسماء الخالق، و هناك من بشوهها، و من يشوهها هو الإنسان، إذ يوجد عند البعض من البشر أرواح شريرة ونفوس لا تريد الخير للآخرين، ويبقى الخير وفاعله هو الجمال وهو الشيء الحسن في هذه الحياة.

المبحث الثالث: تحسين القبيح عند المحدثين:

نلاحظ أن مصطلح (تحسين القبيح)عند المحدثين ، يستحق عناية أكبر و اهتمام في البحث والدراسة كما كان عند الأقدمين، ذلك لا يمنع القول بوجود اهتمام بذلك لكنه قليل.

إن علم الجمال هو علم مغاير لتحسين القبيح، ولو رجعنا الى المعاجم اللغوية العربية لوجدنا التحسين هو نفسه التجميل، والتجميل يعني الجمال، وقد عرض الدكتور منصور فهمي لذلك بقوله: ((كأني بمعنى الجمال يريد أن يتقدم إلى النفوس بذاته خالصاً منزهاً مما عداه ، خالياً من الشوائب واللواحق، وقد يجتمع الجميل والنافع ويلتقيان كما لو رأيت لوحاً زيتياً، بهرتك ألوانه، وخلبتك روائعه، وجذبتك مغازيه ومعانيه))[٤٠] .

وقد ربط الدكتور منصور فهمي الجمال بالمنفعة، كما فعل جورج سانتانا ، مشيراً إلى أن الإنسان قد منحه الله عز وجل العقل والتفكير ، وهيأه للتميز بين الخير والشرّ وبين الحسن والقبيح ، وبين ما ينفعه وما يضره[٤١].

ويرى الدكتور محمود أحمد الحفني، أن الجمال في الموسيقى، ويكمن ذلك في الإحساس بها، ويعد الشعور بالموسيقى وحده هو جزء من الشعور العام بالجمال[٤٢].

أصالة القبح وعلاقته بالجمال:

صار القبح ضد الحسن أمراً بديهياً، مرتبطاً بعلم الجمال والثقافة العامة ، وهو إجراء نقدي يتواجد في النص الفني، ولاشك في أنه يمتلك دوراً كبيراً من المتعة واللذة عند المتلقي،

ويمكن أن نطلق على هذا المفهوم (نظرية القبح)، والتي تهتم بكشف النسق الثقافي المضمر الذي يحتويه النص، ويعمل على الكشف عن الذات اللامرئية فيه، وتقوم نظرية القبح بالكشف عن الجمال؛ لأن كشف القبح يظهر ما ضده، وهذا ما يمهد لنا كشف الذات والتوغل في أعماقها ووصف أحاسيسها المضمرة [٤٣].

التفت ابن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ)، إلى مفهوم القبح ، ذلك عندما تكلم عن الشعر وفضائله، وقال في ذلك: ((ومن فضائله أنّ الكذب الذي أجتمع الناس على قبحه حسن فيه))[٤٤] . نستنتج من ذلك أن الكذب لابد منه في الشعر، وهو ما بجعل للشاعرية مكان فيه، وعلى هذا الأساس جعله أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) مقترناً بجمال الشعر، وبوجود الشاعرية ، وهناك رأي مفاده أن الصدق والكذب واللفظ والمعنى ثنائيات لا يمكن الفصل بينهما ،ولابد من تواجدهما معاً في النص ليزداد جمالاً[٤٥]. ومما تقدم يمكن اعتبار القبح نوع من أنواع الجمال في الإبداع الفني، ويرى الغذامي إن للنقد الأدبي دور في الوقوف على جماليات النصوص، ويزيد من قدرتنا على تذوق الجمال فيه،، وقد يكون لهذا النقد عيوب، يقول الغذامي عن ذلك : ((لكن النقد الأدبي ، مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه، أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمالي، وظلت العيوب النسقية تتنامى متوسلة بالجمالي الشعري والبلاغي))[٤٦].

ويرى الدكتور هلال جهاد: ((إن الجمال في المنظور الفلسفي هو العلم الذي يعكس الأشياء الجميلة حولنا، ويحول لنا الصور الفنية أكثر جمالاً، ومادام الجمال اسلوباً لوجود الحقيقة الإنسانية فإنه موجود معرفي حواري ،أعني أنه لا يقوم إلا من حيث كونه حواراً، وهذا ما يتأصل في لغوية الوعي الشعري في الإنسان بوصفه السياق الجوهري للجمال))[٤٧]. ومن ذلك ادركنا مفهوم الجمال عند الدكتور هلال، ويشير كذلك الى أن الجمال هو ليس شيء يدرك حسياً فقط ، ((وانما هو نتاج لعملية تبني تهدف إلى المعنى وتتأطر بالتمييز القصدي وتنطوي على الماهوي والعلاقي،... وعلى هذا الاساس إن الجمال ليس جوهراً أو مضموناً ولا عرضاً أو شكلاً ،وإنما هو فعل معرفي يعي ذاته ويقصدها ويؤسسها))[٤٨].

ويعتقد الدكتور إياد الحمداني، أن القبح يلتقي بالهجاء وميدانه يلتقي بفلسفة الجمال، ((ويقترب في عوالم الأدب من الملهاة (الكوميديا) في جانب من جوانب التوظيف الإبداعي الذي يقترن بالغرابة، ويتأثر القبح بالذائقة النسبية))[٤٩].

أخيراً أقول ن دراسة القبح وما يقابله مدعاة للرّصد الجمالي الفلسفي والاستقطاب النقدي ، و يهيّئ لدراسات أخر أغنى من دراستي هذه وأكثر شمولية، والله الموفق.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة الممتعة مع الحُسن والقُبح وما يرتبط بهما، ويمكن أن نسجل عدداً من النتائج والملاحظات التي نجملها في الآتي :

١ – على الرغم من ذهاب العقل إلى أن الحسن ضد القبح، إلا إننا نجدهما يشكلان لوحة جمالية شاعرية، عند اجتماعهما في النص الأدبي.

٢ – عدّ تعريف كل من الحسن والجمال وحسن التعليل واللذة من المعاني المتقاربة في المعنى.

٣ – نجد أن مصطلحي الحسن والقبح، يستحقان البحث والدراسة أكثر من قبل النقاد والعلماء المحدثين ؛ لندرة ما وصل إلينا من الأقدمين.

٤ – إن آلية تحسين القبيح في الشعرية العربية ذات حضور واضح في إجراءات النقاد القدماء ، فهي تدخل ضمن حدود المحسنات البديعية المرتبطة بالمراوغة والعدول في التعبير.

اسأل الله التوفيق والسداد .

الهوامش:

(١) لسان العرب : ابن منظور ، مادة : (حَسُن) .

(٢) كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي، ، مادة: (حَسُن) .

(٣) المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني: مادة حسن: ١١٨.

(٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة و كامل المهندس : ٨٤.

(٥) لسان العرب : مادة: (جُمِّلَ) .

(٦) ينظر : مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي: جميل علي السورجي، بحث في مجلة الشريعة الإسلامية ، العدد:٢٠، ص: ١٠-١١ .

(٧) المعجم الفلسفي : جمال صليبا: ١/ ٨ .

(٨) ينظر : فلسفة الجمال في الفكر العربي الإسلامي (الجمال في الفكر الصوفي نموذجاً): حسيني عبدالرحمن ، بحث في مجلة نماء ، ص : ١٢٥.

(٩) ينظر : الحسن والقبيح العقليات وأثرها في مسائل أصول الفقه مع مناقشة علمية لأصول المدرسة العقلية الحديثة : عايض بن عبدالله بن عبد العزيز الشهراني،١/٧٣ .

(١٠) الإحساس بالجمال: جورج سانتيانا، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، ص:٥١ .

(١١) ينظر: المصدر نفسه : ٢١٨-٢٢١.

(١٢) لسان العرب: ابن منظور ، مادة (قبح)، ص: ٨ .

(١٣) ينظر : القبح في الشعر العربي (قراءة نقدية ثقافية): أحمد محمد البندور، ص: ٦٦٦ .

(١٤) ينظر البنى الناطقة: أ.د إياد عبدالودود الحمداني: ١١٨.

(١٥) المصدر نفسه : ١١٩.

(١٦) كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري: ٢٦٧.

(١٧) معجم المصطلحات البلاغية: د. أحمد مطلوب:٣٤١/٢.

(١٨) علم الدلالة: أحمد مختار عمر، ص: ٢٤٠.

(١٩) شرح أدب الكاتب: الجواليقي، قدم له : مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص: ١٢٤.

(٢٠) معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٨١/٤.

(٢١) معجم المعاني الجامع:

(٢٢)تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : شاكر العاشور، ص: ٣١ .

(٢٣) ينظر: المكان نفسه.

(٢٤) ينظر : المصدر نفسه: ٣٢.

(٢٥)الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء: سيد صديق عبد الفتاح ، ص: ١٣ .

(٢٦) المكان نفسه.

(٢٧) ينظر الجمال كما يراه الفلاسفة : ١٤.

(٢٨) الفتوحات المكية: محي الدين بن عربي، ص: ٢٦٩.

(٢٩) ينظر : الفتوحات المكية: ٣٢٦.

(٣٠) كتاب التجليات : محي الدين بن عربي، ص: ٤٢.

(٣١) كتاب التجليات : ص: ٤٢.

(٣٢) ينظر : في التصوف بين التجربة وانتاج الجمال: سالم حميش، بحث في مجلة الوحدة العربية، العدد: ٢٤، ص: ١٤٦.

(٣٣) ينظر: الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء: ٢٣.

(٣٤) المصدر نفسه : ٣٥ .

(٣٥) المكان نفسه .

(٣٦) المصدر نفسه: ٤٠.

(٣٧) ينظر :الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء: ٤١

(٣٨) المصدر نفسه: ٤٢ .

(٣٩) المصدر نفسه: ٥٧ .

(٤٠) الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء: ٦١

(٤١) ينظر: المصدر نفسه:٦٥ .

(٤٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧١

(٤٣) ينظر: القبح في الشعر العربي(قراءة نقدية ثقافية): أحمد محمد البندور، بحث في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد :٤٧، العدد:١،السنة: ٢٠٢٠م، ص: ٦٦٧.

(٤٤) المصدر نفسه: ٦٦٦.

(٤٥) المكان نفسه.

(٤٦) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبدالله الغذامي:١٥ .

(٤٧) جماليات الشعر الربي ،دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي: الدكتور هلال الجهاد: ٦٤ .

(٤٨) المكان نفسه.

(٤٩) البنى الناطقة : ١١٩، وينظر: ١١٨

المراجع

القرآن الكريم.

١ – الاحساس بالجمال: جورج سانتيانا، ترجمة: د . محمد مصطفى بدوي، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، د ط، ٢٠٠١م .

٢ – البنى الناطقة: أ .د إياد عبد الودود الحمداني، منشورات اتحاد الأدباء، بغداد، العراق، ط:١، ٢٠٢١ م.

٣ – تحسين القبيح وتقبيح الحسن: أبو منصور الثعالبي(، تحقيق : شاكر العاشور، دار الأرقم، بيروت ، لبنان، ط: ١ ، ١٩٨١م.

٤ – الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء: سيد صديق عبدالفتاح، دار الهدى للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، ٢٠١٥م .

٥ – جماليات الشعر العربي: هلال الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط: ١ ، ٢٠٠٩م .

٦ – الحسن والقبيح العقليات وأثرها في مسائل أصول الفقه مع مناقشة علمية لأصول المدرسة العقلية الحديثة : عايض بن عبدالله بن عبد العزيز الشهراني.

٧ – شرح أدب الكاتب: الجواليقي، قدم له : مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، د ط، ٢٠٠٦م .

٨ – علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط: ٥ ، ١٩٩٨م .

٩ – الفتوحات المكية: محي الدين ابن عربي(ت ٦٢٨هـ)، تحقيق: عثمان يحيى، دار الكتب العلمية، القاهرة، مصر، د ط، ٢٠١٠م .

١٠ – كتاب التجليات الالهية : محي الدين بن عربي(ت ٦٢٨هـ)، دار احياء التراث، بيروت، لبنان، د ط،٢-١٤م .

١١– كتاب الصناعتين: أبوهلال العسكري(ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، الناشر : عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، د ط ، ٢٠١٤م .

١٢ – كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي– إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، مصر، د ط، دت .

١٣ – لسان العرب : جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط،٢٠١٠م .

١٤ – المعجم الفلسفي: جمال صليبا، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط ، ٢٠٠٨م .

١٥ – معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط:١ ، ٢٠١٨م .

١٦ – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان ،ط: ٥، د ت.

١٧ – المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، لبنان، د ط، ٢٠٠٩م .

١٨ – النقد الثقافي في قراءة في الأنساق : عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية ، ط :٣ ، ٢٠٠٥م .

البحوث المستلة :

١ – فلسفة الجمال في الفكر العربي الإسلامي (الجمال في الفكر الصوفي نموذجاً): حسيني عبدالرحمن ، بحث في مجلة نماء.

٢ – في التصوف بين التجربة وانتاج الجمال: سالم حميش، بحث في مجلة الوحدة العربية، العدد: ٢٤.

٣ – مفهوم الجمال في الفكر الاسلامي: جميل علي السورجي، مجلة الشريعة الاسلامية، بيروت، العدد:٢٦٤، ١٩٨٦م.

٤– القبح في الشعر العربي (قراءة نقدية ثقافية): أحمد محمد البندور، بحث في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد :٤٧، العدد:١،السنة: ٢٠٢٠م.